الموقع الرسمي لفصيلة النبيج أبي الحسن علي بن محتار أن علي الرمني الأردني

تفسير سورة التوبة (6-5)

تفسير سورة التوبة (6–5)

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْلاَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلِّ مَرْصَد فَجَدْتُمُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلِّ مَرْصَد فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)}

{فَإِذَا انْسَلَخَ} انقضى ومضى {الْلاَشْهُرُ الْحُرُمُ} هي أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها فيما تقدم في قوله تعالى إفسيحُواْ في الكاراكِضِ أرابَعَة الشاهُر وقيل لها حرم؛ لأن الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم أي إذا انقضت ومضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم فيها قتالهم، وأجلناهم فيها {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمُ فَاقتلوا المشركين أينما وجدتموهم من الأرض، قال ابن كثير: هذا عام، والمشهور تخصيصه الرص، قال ابن كثير: هذا عام، والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله: {ولَلا تُقْتُلُوهُم عَنَدُ اللهَ عَلَيْكُمُ فَانَ قُتَلُوكُم الله في الحرم بقوله عَنْدُ وَلَلا تُقْتُلُوهُم عَنَدُ الله وَالدَّوهُم وَالدَّوهُم قال الله وأرضه أي إلى عند الكاره وأخذُوهُم وأسروهم {واحصر وهم عنوسعون في بلاد السعدي: أي: ضيقوا عليهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد الله وأرضه، التي جعلها الله معبداً لعباده.

فهؤلاء ليسوا أهلاً لسكناها، ولا يستحقون منها شبراً؛ لأن

الأرض أرضُ الله، وهم أعداؤه المنابذون له ولرسله، المحاربون، الذين يريدون أن يُخلُو الأرض من دينه، {وَيَأْكَبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتمّ نُورَهُ وَ وَلَوا كَرِهَ اللّهَ إِلّا أَن يُتمّ نُورَهُ وَ وَلَوا كَرِهَ اللّهَ عُرُون} {وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلّ مَرْصَد أي: على كل طريق، والمرصد: الموضع الذي يراقب فيه العدو، من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته، يريد كونوا لهم رصداً لتأخذوهم من أي وجه توجهوا.

قال ابن كثير: أي لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم، بل اقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم إلى القتل أو الإسلام، ولهذا قال: {فَإِنْ تَابُوا} من الشرك {وَأَقَامُوا الصّلَلاةَ وَآتُوا الزّكَاةَ فَخُلُوا سَبِيلَهُمْ} يقول دعوهم فليتصرفوا في أمصارهم {إِنّ اللّهَ غَفُونٌ} لمن تاب {رَحِيمٌ} به.

{وَإِنْ أَحَدُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلَلامَ اللّهِ ثُمّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لَلا يَعْلَمُونَ (6)}

يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم {وَإِنْ أُحَدُّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم {اسْتَجَارَك} أي: استأمنك، أي طلب الدخول في جوارك يعين في حمايتك {فَأَجِرْهُ} فأجبه إلى طلبه وأمنه {حَتّى يَسْمَعَ كَلَلامَ الله} أي إلى أن يسمع القرآن، أو كي يسمع القرآن فتقام عليه الحجة،

قال أئمة السلف: حتى يسمع القرآن {ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} أي: إن لم يسلم أبلغه مأمنه، أي: الموضع الذي يأمن فيه، وهو دار قومه {ذَلِكَ بِأُنّهُمْ قَوْمٌ لَلا يَعْلَمُونَ} أي: لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله.

وقال ابن كثير: أي: إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله، وتنتشر دعوة الله في عباده. انتهى

احتج أئمة السلف رضي الله عنهم بهذه الآية على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال الإمام أحمد: قال الله في كتابه: {وَإِنْ أُحَدُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأُجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلَلامَ اللَّه} [التوبة: 6] فجبريل سمعه من الله، وسمعه النبي من جبريل عليهما السلام، وسمعه أصحاب النبي من النبي عليه السلام، والقرآن كلام الله غير مخلوق، ولا نشك ولا نرتاب فيه، وأسماء الله في القرآن وصفاته في القرآن من علم الله وصفاته منه، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فقد كنا نهاب كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فقد كنا نهاب الكلام في هذا، حتى أحدث هؤلاء ما أحدثوا، وقالوا ما قالوا، دعوا الناس إلى ما دعوهم إليه، فبان لنا أمرهم وهو الكفر بالله العظيم. انتهى

وقال يَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ: قُلْتُ للأَحْمَدَ بْن حَنْبَل: هَؤُلَلاءِ النَّذِينَ يَقُولُونَ: لَفْظُنَا بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ؟ فقَالَ: "الْقُرْآنُ عَلَى أَيِّ جَهَةٍ

مَا كَانَ لَلا يَكُونُ مَخْلُوقًا أَبَدًا، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ أَحَدُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلَلامَ اللّه} [التوبة: 6]، وَلَمْ يَقُلْ: حَتّى يَسْمَعَ كَلَلامَكَ يَا مُحَمّدُ "، فَقُلْتُ لَهُ: إِنّمَا يَدُورُ هَؤُلُلاء عَلَى الْلإِبْطَالِ وَالتّعْطِيلِ، قَالَ: »نَعَمْ «، وَقَالَ يَدُورُ هَؤُلُلاء عَلَى الْلإِبْطَالِ وَالتّعْطِيلِ، قَالَ: »نَعَمْ «، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: »عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّه. «